(٣) العائلة

بملامح صارمة جامدة انهمك ابن الرئيس فى الضغط على مفاتيح جهاز اللاب توب الخاص به بتتابع سريع منتظم وهو ينظر الى شاشته بإهتمام وتركيز شديدين داخل مكتبه الفاخر بالقصر الرئاسي بينما اخذت تتابعه بملل واضح سيدة انيقة فى منتصف الخمسينات من عمرها ثم زفرت فى ضيق واضح وهى تسأله بحروف ساخطة:

- هل ستبقى منشغلا هكذا طوال الوقت؟؟

بدا ان ابن الرئيس لم يسمعها حيث استمر فيما يفعله فهتفت السيدة فى اعتراض :

- انى اتحدث اليك..

توقفت اصابعه عن الضغط على مفاتيح اللاب توب ورفع رأسه ينظر اليها قائلا فى بروده المعهود:

- السياسة حرب باردة مستمرة لا تنتهى ..والتركيز فيها يحقق النجاح فى استنزاف خصومنا والتفوق على اعدائنا بحيث نبقى دائما فى مقدمة المشهد..

ردت السيدة بسخرية :

- اتعطينى محاضرة فى السياسة لمجرد انى اعترضت على انشغالك الدائم..

تنهد الابن وهو يقول:

- لا داعى لكلماتك الساخرة يا أماه.. فما قصدته هو ان ...

قاطعته قائلة:

- لا يجب ان تطغى حياتك السياسية على حياتك الشخصية ولا تنسى ان حلمى لا ينتهى عندما تكون رئيسا لهذا البلد بعد والدك أعطاه الله طول العمر والصحة الدائمة بل يمتد لأراك أباً لطفل جميل يستكمل مسيرة ابيه..

عاد الابن يتنهد مرة اخرى وهو ينظر الى شاشة اللاب توب قائلا:

- اتفق معكى فى هذا ولكن لنؤجل قرار الزواج هذا الى .....

عادت تقاطعه قائلة بلهجة حادة :

- الى متى ؟؟ .. لقد تعدى عمرك الاربعون عاما؟؟ ولا ينقصك اى شئ .. فماذا تنتظر؟؟ .. ثم هل هناك عاقل فى الدنيا يرفض الزواج من أميرة عربية تربت وعاشت فى باريس؟!!

أجاب فى برود ساخر:

- لا اعرف اللغة الفرنسية..

هبطت بيدها على سطح مكتبه صائحة فى غضب :

- لقد سئمت من اسلوبك هذا و....

قاطعها هذه المرة فى هدوء عجيب وهو يشير بيده لتهدأ:

- حسنا .. حسنا .. يمكنك تحديد موعد للزواج..

هدأت فجأة وقالت وهى تتنهد فى ارتياح :

- أخيرا ...

وهنا دلف الى مكتب الابن رجل عجوز فى نهاية الستينات من عمره بدا مهيبا بخطواته البطيئة الهادئة ومنهكا بشدة وهو يلقى بنفسه على اقرب اريكة فى الوقت الذى نهض فيه الابن من خلف مكتبه واتجه اليه بخطوات سريعة ومعه والدته والتى كان وجهها مضيئا بابتسامة واسعة متألقة ما ان لاحظها الرجل العجوز حتى قال فى رصانة :

- يبدوا ان المعجزة حدثت ووافق ابننا على الزواج...

وقف الابن بجانبه بينما قالت فى سرعة وهى تجلس بجانبه وتمسك يده:

- نعم .. حمدا لله .. (ثم استطرد بلهجة لوم) .. ولكن ما الذى جعلك تترك فراشك و...

قاطعها زوجها قائلا فى سخط:

- لقد سئمت الفراش .. سئمت المرض والعقاقير الطبية .. (ثم تأوه وهو يستطرد) .. وهذه الحقنة اللعينة تؤلمنى بشدة..

قالت زوجته (السيدة الاولى) فى اسف وحنق:

- كم اتمنى ان تتخلص منها..

رد فى سخط :

- مع الاسف .. لا مفر ..وليس هناك بديل سواها ..فهى الوحيدة التى تجعلنى متماسكا صحيا ومتعافيا قادرا على التحرك و استقبال الضيوف وممارسة مهامى اليومية كرئيس للجمهورية..

وهنا دلف الى المكتب رجل من سكرتارية القصر الرئاسى التفتوا اليه بينما يقول لهم فى احترام بالغ :

- مرحبا بفخامتكم .. (ثم التفت الى الابن مستطردا فى دبلوماسية انيقة) .. سيدى .. اذكركم بأن شيخ الاخوان مازال فى انتظاركم ..

زفر الابن فى ضيق واضح ثم قال له :

- اخبره ان ينتظر ساعة اخرى ..

رد الرجل بنفس لهجة الاحترام:

- كما يأمر فخامتكم ..

وما ان خرج بخطوات سريعة حتى التفت الرئيس الى ابنه قائلا فى لهجة غاضبة :

- كان من الخطأ ان تعقد معهم تلك الصفقة السياسية اللعينة والتى جعلتهم يتجرأون ويدخلون الى القصر الرئاسي..

احتقن وجه الابن وبدا انه يحاول السيطرة على انفعالاته وهو يرد :

- الضرورة القصوى وقتها كانت تحتم عليَ ذلك .. فالمظاهرات تتزايد وكان الامر يقتضى استخدامهم لاحتواء صعود التيار الليبرالى واليسارى وبعض كيانات المعارضة الاخرى من خلال منح المزيد من الحرية فى الحركة والحشد لهم خاصة انهم بارعون فى ذلك جدا وقد ضربنا بذلك اكثر من عصفور بحجر واحد .. تحجيم دور اى تشكيل سياسى سيظهر فى المستقبل .. معرفة افكارهم وافكار التنظيمات الاسلامية الاخرى عن قرب وبصورة دورية .. انحسار نبرة معارضتهم لنا فى كل مناسبة وهو مارىناه ولمسناه جميعا فبعد ان كانوا يهتفون ضدنا (تابع بشئ من السخرية) اصبحوا ينصحون عشيرتهم باتباع اولى الامر .. (ثم اشار باصابعه الى نفسه وهو يستطرد) .. نحن .. (بعدها تنهد وهو يضيف) ثم ان ....

قاطعه الرئيس بنبرة غضب مرتفعة:

- ولكنهم انتشروا اكثر واستخدموا الحرية التى منحتها لهم فى زيادة اعداد انصارهم كما انهم انتزعوا عدد كبير جدا من مقاعد مجلس الشعب .. عدد اكثر بكثير مما هو متفق عليه..

قالت السيدة الاولى مدافعة عن ابنها:

- ولكنه ادار الأزمة وقتها بشكل مثالى واتخذ الاجراءات المناسبة فى الوقت المناسب ليقدم الدليل القوى للمجتمع الدولى وخاصة أمريكا باننا نظام ديمقراطى يؤمن بحرية الرأى والفكر..

قطب حاجبيه وهو يقول فى حزم:

- واشنطن تعشق التدخل فى شئون كل بلدان العالم .. تلعب بكل الاوراق وعلى كل الحبال..

عادت تقول فى حزم اكبر:

- ولكننا اصدقاء .. ونحن حليف قوى لها ..

صاح قائلا لها:

-واشنطن لا تعرف الصداقة وليس لها اصدقاء ... بل المصالح .. المصالح هي التي تحركها .. (ثم التفت الى الابن وهو يستطرد) .. وهي التي نصحتك بتنفيذ تلك اللعبة السياسية السخيفة وبالتأكيد تتلاعب هي بكل اطراف الصفقة وتحركهم وتوجههم..

عقد الابن ساعديه امام صدره وهو يقول:

- اليس غريبا ان تقول لنا ذلك بعد تاريخ طويل من التعاون معهم..

رد الرئيس فى سرعة:

- وكنت على خطأ .. وأريدك أن تتعلم .. وتأخذ حذرك منهم ..

هتفت السيدة الاولى فى سرعة مماثلة:

- وابننا لم يخطئ فى شئ ..وقادر على التعامل بذكاء وحنكة فى كافة المواقف .. (ثم اقتربت منه وهي تستطرد بحروف بطيئة معترضة محذرة) .. أما انقلابك على السياسة الامريكية بهذا الشكل أمر خطير.. فأرجو الا يتعدى حدود هذه الغرفة والاقد يضرنا ذلك كثيرا ..

رد بعصبية واضحة :

- السياسة الامريكية هى التى جعلت لاصحاب الذقون والعمائم صوتا وكيانا يقدم نفسه بشدة على ارض الواقع ليكون بديلا لنا..

تنهد الابن وهو يقول موجها حديثه الى والدته:

- لأول مرة اتفق مع والدي فى اننى لم اجرى حساباتى جيدا بشأنهم ..(ثم نظر الى والده الرئيس وهو يستطرد فى حزم) ..وسأقوم بمعالجة الامر..

صاح الرئيس فى سخط:

- هذا لانكم تتصرفون وفق اهوائكم ودون الرجوع الى..

رد الابن فى هدوء عجيب :

- نحن نتحرك فى اطار مصلحة الوطن..

عاد الرئيس يهتف وهو يشير الي ابنه بعصبية :

- بل مصلحتك انت ..

عاد الابن يرد بهدوء بارد:

- بلى .. مصلحتى جزء كبير من مصلحة الوطن.. (ثم مال نحوه قليلا وهو يضيف فى حزم) .. الست انا الرئيس القادم..

هتفت والدته :

- بعد عمر طويل ان شاء الله..

تجاهلها الرئيس تماما وسارع يقول فى اسف وحنق :

- وكان هذا اكبر اخطاء حياتى ..

اتسعت عينا زوجته وهى تصيح:

- لماذا تقول مثل هذا الـ.....

بترت عبارتها عندما ارتفع صوت الابن متحدثا الى والده ومتجاهلا اياها ايضا وهو يقول بعصبية مكتومة:

- انت الذى علمتنى وغرست داخلى هذا الهدف واعددتنى من أجل تحقيقه وسأصل اليه..

احتقن وجه الرئيس وهو يقول بغضب واضح:

- بإلغاء وجودى تدريجيا .. اليس كذلك ..

عادت الام تصيح بهما بلهجة قوية غاضبة :

- ليس من اللائق ابدا ان يكون حديثكما دائما حادا وملئ بالعصبية والعناد..

التفت اليها الرئيس وهو يهتف فى سخط:

- انتى ايضا بدأتى تتدخلين كثيرا فى عملى.. ورئيس الوزراء ألمح لى كثيرا بشكل غير مباشر.. (ثم نظر الى الابن مضيفا) .. وانت ترفض مقابلته دائما..

قال الابن فى حنق:

- لأننى غير مقتنع به ..

صاحت والدته قائلة للرئيس معترضة :

- انه رجل فاشل وغير جدير بمنصبه..

صاح بدوره :

- انا من يحدد من الفاشل ومن اريده ومن لا اريده..

شدت قامتها وهى تقول بحروف يملؤها الغرور:

- وانا السيدة الاولى ومن حقى ان اعلم كل شئ.. ولا تنسى أننى من أصول عائلة انجليزية عريقة و....

قاطعها الرئيس وهو يزفر فى حنق وملل:

- الا تملين ابدا من الحديث عن اصول عائلتك.

صاحت فى غضب:

- لأنى احب ان اذكرك بأننى ولدت لأكون الأولى وفوق الجميع..

صاح بدوره وهو يشير الى نفسه:

- وانا رئيس الجمهورية..

ردت بعناد واضح:

- وراء كل رجل عظيم امرأة..

وفى عصبية وغيظ واضحين نهض من مكانه منهيا الحديث وهو يقول فى حنق شديد :

- لا فائدة من الحديث معكما ..

ابتعد عنهما بضعة خطوات غاضبة متجها الى الخارج ثم توقف فجأة للحظة بعدها التفت الى الابن قائلا له بلهجة مغايرة تماما لما سبق حيث بدت ودودة بعض الشئ وباسلوب الاب الذى ينصح ابنه:

- كن حذرا مع الاخوان واحترس منهم ..فهم شياطين فى ثياب ملائكة..

وما ان خرج من الحجرة حتى تمتم الابن فى خفوت وهو ينظر الى الباب :

- لقد بدأ الخرف يسيطر على عقله..

اتسعت عينا والدته وقد وصل الى مسامعها كلماته فصاحت:

- ماذا تقول؟؟ .. (ثم قطبت حاجبيها فى غضب وهى تستطرد) .. ليس من الاخلاق ولا التربية ان تصف والدك بهذا الوصف المشين مهما كنت ومهما كانت افعاله.. عليك ان تظهر احترامك لوالدك باكثر من ذلك فهو الرئيس..

التفت اليها ساخرا وهو يقول:

- انتى تقولين ذلك؟؟ .. الم يتسبب فى مضايقتك كثيرا فى الاونة الاخيرة.. (ثم اكتسى صوته الجدية الشديدة والضيق وهو يستطرد) .. ألم يتسبب فى احراجنا باكثر من مرة فى سلوكه وتصريحاته التى يطلقها هنا وهناك دون ان يستشيرنا..

اقتربت منه ووضعت احدى يديها على كتفه وهى تقول :

- لا تكن قاسيا على والدك هكذا خاصا وهو كهل مريض ..

تنهد وهو ينظر بعيدا وقد بدا شاردا غارقا فى تفكير عميق متمتما:

- كهل مريض..

لم تسع الام فى مقاطعة شروده وساد الصمت للحظات بعدها عاد يقول فى خفوت :

- سيسبب لنا مشاكل كثيرة مع واشنطن..

تطرقت الام برأسها وهى تقول بدورها فى قلق :

- هذا صحيح .. ولكن .. (اضافت بصوت حازم) .. حاول ان تمنع ذلك وتخاطب الادارة الامريكية بعدم الاكتراث لكلماته وتصريحاته..

نظر اليها ثم غمغم بخفوت:

- هذه الطريقة لا تصلح فى العلاقات بين الدول..

ثم استطرد وهو ينظر بعيدا قائلا وكأنه يتحدث الى نفسه:

- يجب حصاره داخل القصر وتحديد حركته .. على الاقل تجاه كل ما يخص امريكا ..

قطبت الام حاجبيها وهى تنظر الى ابنها فى ضيق .. حاولت ان تظهر اعتراضها على كلماته وتفكيره الا ان شئ ما جعلها تصمت وكأنها متفقة معه على كل ما يخطط له و...

التفت هو اليها فى بطئ ونظر اليها بنظرة خاصة عرفت منها انه يفهم ما يدور فى عقلها فاندفعت تقول :

- سنخسر كثيرا اذا أغضبنا واشنطن .. سنخسر المعونات والمساعدات والمنح وكل شئ ..

استمر الابن فى النظر اليها بملامح جامدة خالية من الانفعالات فى حين تنهدت هى قائلة :

- حسنا .. افعل ما تريده .. ولكن فى اطار من الاحترام..

نقل نظره الى باب الحجرة وفى خطوات سريعة حازمة ودون ان يتفوه بحرف واحد اتجه الى الخارج فى صمت عجيب..

صمت ذئب يخطط لأمر رهيب ..

*****